الرسالة الهادية

إلى

الاستعاذة والبسملة

«دراسة نحوية صرفية»

بقلم
د/ فؤاد علي مخيمر
أستاذ اللغويات المساعد
جامعة الأزهر ١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله الرحمن ، علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان .

وصلى الله وســـلم وبارك على من نطق بأفصح لسان وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ..

أما بعد :

فهذه رسالة وضعتها تدور فى فلك الدراسات النحوية واللغوية وقد جعلتها تحت عنوان :

(الرسالة الهادية إلى الاستعاذة والبسملة)

وضمنتها التوجيهات الإعرابية ، والتفصيلات اللغوية ، التى ينبثق عنها اشتقاق الألفاظ ، وتصاريفها ، التى أسفرت عن أحكام تتصل بالعقيدة والفقه ، وقد أبرزت لطائف تتصل بالقواعد النحوية ، فضلا عن المعانى اللغوية التى هى ثمار هذه التصاريف ، والتى أثبتها فى خاتمة هذا البحث .

الأمر الذى جعلنا نخرج من هذا البحث بنتائج مثمرة ، وفوائد عظيمة تسهم مساهمة فعالة فى مجال اللغة العربية وآدابها ، وتلفت أنظار الباحثين إلى أهميتها فى توجيه العلوم الشرعية .

فلا غرو فهذه من الفيوضيات التى استفتح الله بها كتابه المحكم الذى لاتنقض عجائبه ، والذى ذكرته ماهو إلا طرف جانب من جوانب المعرفة التى استودعها الله خزائن (الاستعاذة والبسملة) فى الاستعاذة من التفسير

مايتصل بأمور الجن ، وإلى أى مدى يتسلط على الإنس ، وبيان الفرق بين خلق الإنس والجن والملائكة ، ومناهج الشيطان فى الوسوسة ، والفرق بين الوسوسة والخواطر ، وإلى أى مدى يصل علم الجن . وفيها أيضا بيان أسباب الاستعاذة وأنواعها ، إلى غير ذلك من العلوم التى استلهمها العلماء ، فضلا عن اللطائف المستنبطة من قولنا : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) إلى جانب الأحكام الفقهية التى استنطقها الفقهاء الباء فى قولنا (بالله) و (من) فى قولنا (من الشيطان) فقد فرع على ذلك الفقهاء أحكاما شرعية فى العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات رأيت أن البحث سيطول بذكرها ، وهى مبثوثة فى أمهات كتب التفسير مثل (التفسير الكبير) للفخر الرازى ، و (تفسير القرطبي) و (البحر المحيط) وروح المعانى للآلوسى . . . وغيرها .

وأما مايتعلق بالبسملة ففيها كذلك أصول فى علم العقيدة فيما يتصل بالذات والصفات ، ومايتصل ببعض أحكام التلاوة من ترقيق وإدغام ومد . . وغيرها ، وكذا الوقوف على بعض أسرار اسم الله الأعظم بعد معرفته إلى غير ذلك من المباحث الفقهية والعقدية .

فضلا عن المباحث اللغوية والنحوية التى طرقت بابا منها كان موضوع هذا البحث المتواضع فى مبناه ومعناه .

هذا ; ومما يجب أن نجعله على ذكر منا ، ونؤكد عليه أن الباحث فى عمق هذه العلوم والفنون ، يجد أن البحث النحوى اللغوى هو المعين الفياض الذى نهل منه الباحثون من فقهاء ومفسرين وفلاسفة . . . وغيرهم ، فعلى قواعده أرسى العلماء عمد فنونهم ، حيث لاغنى عنه ، وعلى أصوله ، يؤسس الفقهاء علومهم ، والفلاسفة مذاهبهم ، ومن تصريفاته يفرعون أحكامهم ، ويعضدون مذاهبهم .

من أجل ذلك شغلت نفسى بتقديم هذا البحث على طريق الهداية إلى استفتاح كتاب الله - عز وجل - بالاستعاذة والبسملة .

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

كراتشى - باكستان

فى غرة شهر رجب سنة ١٤٠٩ هـ
الموافق ٧ من فبراير سنة ١٩٨٩ م

المؤلف
أ . د / فؤاد على مخيمر
أستاذ اللغويات المساعد
جامعة الأزهر

أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ أعوذ ﴾ :

فعل مضارع ، علامة مضارعته الهمزة فى أوله ، وعلامة رفعه ضم آخره . وهو فعل معتل ، لأن عين الفعل واو ، الأصل (أعوذ) - بفتح الهمزة وسكون العين وضم الواو والذال - على وزن (أفعل) فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلت إلى العين ، فصارت (أعـــوذ) ومثل ذلك . (أقول ، وأذول) وما جاء على مثله فهذه علته .

والهمزة فى (أعوذ) إخبار عن النفس ، والتقدير : أعوذ أنا ، ويأتى المضارع منه أيضا على (يعوذ) والياء للغائب ، وفاعله مستتر ، تقديره : (هو) ويأتى (تعوذ) بتاء التأنيث الغائبة ، والتقدير : تعوذ هى ، وقد تكون التاء للمخاطب ، والتقدير : تعوذ أنت يا رجل .

فإن جعلت الخطاب للمرأة قلت : (أنت تعوذين يا امرأة) فاليا : علامة التأنيث ، والنون علامة الرفع ، لأنها تسقط ، إذا أدخلت على الفعل أداة جزم ، أو نصب ، كقولك : (لم تعوذى ، ولن تعوذى) .

فإذا أدخلت النون فى أول الفعل كانت للمتكلمين ، نحو : (نعوذ) والفاعل مستتر وجوبا تقديره : (نحن) . وكذلك كل فعل أدخلت عليه النون فى أوله نحو : (نقوم ، نصوم ، نجلس . نأكل ... إلخ) .

وإذا صرفت الفعل : (عاذ يعوذ عوذاً فهو عائذ) فعاذ : فعل ماضى .

ويعوذ : فعل مضارع يصلح لزمانين الحال والاستقبال ، والماضي لا يصلح إلا لزمان منقضٍ قرب أو بعد .

فإذا دخلت السين أو سوف على الفعـــل المضارع ، وجهتاه إلى المستقبل لا غير .

و (عوذا) مصدر ، وإن شئت قلت : (عاذ معاذاً وعوذة وعياذاً) كل ذلك صواب .

و (عائذ) اسم الفاعل . و (معوذ به) اسم المفعول . والأمر (عذ) المذكــر .

و (عوذى) للمؤنث . و (عوذا) للاثنين ، و (عوذوا) لجمع المذكر ، (عذن يا نسوة) لجمع المؤنث .

ومعنى (أعوذ بالله) : أعتصم وأمتنع بالله من الشيطان الرجيم . ومن ذلك ما أنشده زيد بن عمرو بن نفيل ، ويروى لعبد المطلب .

أنفي لك اللهم عانٍ راغم　　مهما تجشمني فإني جاشم

* عذت بما عاذ به إبراهيم *[1]

يريد به : إبراهيم النبي ـ عليه السلام ـ ومن العرب من يقول : (إبراهام) وكذلك قرأ ابن عامر . وذلك أن إبراهيم اسم أعجمي ، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه ، ومنهم من يقـــول : (إبرهم) بغير ألف ، قال الشاعر :

نحـــن آل الله في كعبته　　لم يزل ذاك على عهد أبرهم[2]

---

(١) انظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه : ٤ وتجشم الأمر : إذا حمله وكلف به فهو جاشم : أي حامل ، الإنسان (جشم) .

(٢) انظر إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤

وحدثنا محمد(١) عن ثعلب(٢) عن سلمة(٣) عن الفراء(٤) قال: العرب تقول: نعوذ بالله من وطأة الذليل، أي: أعوذ بالله من أن يطأني ذليل. ويقال: معاذ الله من ذلك، ومعاذة الله من ذلك، وعياذا بالله من ذلك، وعوذا بالله من ذلك، وعائذا بالله من ذلك، معناه: أعوذ بالله من ذلك.

وروى عن الحسن البصري أنه قرأ: «وقل رب عائذا بك من همزات الشياطين وعائذا بك رب أن يحضرون».

فأما قول العرب: (أطيب الله ما أكل من عوذه) يريدون ما أكل من العظم.

والعوذة: ما عاذ من الريح بشجرة أوغيرها.

وحدث ابن مجاهد(٥) عن السمري(٦) عن الفراء أن العرب تضرب مثلا، وأول من قاله سليك بن السلكة: (اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة) فالخيبة: الفقر، ومعنى لاهيبة: أي: لا أهاب أحدا(٧).

---

(١) هو محمد بن بشار بن الأنباري، المتوفى سنة ٣١٨ هـ.

(٢) هو أحمد بن يحي ثعلب النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ. الأعلام ٢٦٧/١، وبقية الوعاة ١٧٢/١.

(٣) هو سلمة بن عاصم النحوي الكوفي المتوفى سنة ٣١٠ هـ الأعلام ١١٣/٣، ونزهة الألباء ص ٢٠٤.

(٤) هو يحي بن زكريا، الفراء، النحوي الكوفي، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ. الأعلام ١٤٥/٨، ومراتب النحويين ص ٨٦.

(٥) أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، القارىء، المتوفى سنة ٣٢٤ هـ. الأعلام ٢٦١/١، والفهرست ٣١/١.

(٦) هو محمد بن الجهم السمري، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ. إعراب ثلاثين سورة ص ٥.

(٧) انظر إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص ٣ - ٥ بتصرف.

والاستعاذة فى كلام العرب : الاستجارة والتحيز إلى الشىء ، على معنى الامتناع به من المكروه ، يقال : عذت بفلان ، واستعذت به ، أى : لجأت إليه ، وهو عياذى أى : ملجئى ، وأعذت غيرى به وعوذته بمعنى . ويقال : عوذ بالله منك ، أى : أعوذ بالله منك ، قال الراجز :

قالت وفيها حيـــدة وذعر عوذ بربى منكم وحجر[1]

والعرب تقول عند الأمر تنكره : حجرا له ـ بضم الحاء ـ أى : دفعا ، وهو استعاذة من الأمر[2] .

قال الأزهرى : يقال : اللهم عائذاً بك من كل سوء ، أى : أعوذ بك عائذا . وفى الحديث : « عائذ بالله من النار » أى : أنا عائذ ومتعوذ ، كما يقال: مستجير بالله ، فجعل الفاعل موضع المفعول ، كقولهم : (سر كاتم ، وماء دافق) وأما من رواه (عائذاً) بالنصب ، فقد جعل الفاعل موضع المصدر ، وهو (العياذ)[3] .

والمعاذ : المصدر ، والمكان ، والزمان .

﴿ بالله ﴾ :

لفظ الجلالة مجرور بباء الإلصاق الزائدة ، لأنك يمكن أن تقول : (الله) فتسقط الباء .

وحروف الزوائد فى صدور الأسماء ثلاثة (اللام ، والكاف ، والباء) فالكاف : للتشبيه ، واللام : للملك، والباء للاتصال واللصوق ، ويقال: للصفة .

والباء فى (بالله) فى موضع نصب، لأنها قد حلت محل مفعول به ، ولفظ الجلالة مجرور بالباء ، وعلامة جره كسرة الهاء .

(١) لسان العرب (عوذ) والقرطبى ١/٨٩ .
(٢) انظر القرطبى ١/٨٩ . ولسان العرب (حجر وعوذ) .
(٣) لسان العرب (عوذ) .

والأصل : أعوذ بالإله ، فحذفوا الهمزة اختصارا ، وأدغموا اللام فى اللام فالتشديد من أجل ذلك ، ومثل ذلك قوله تعالى : « لكنا هو الله ربي »(١) فالأصل : (لكن أنا) فحذفوا الهمزة اختصارا ، وأدغموا النون فى النون ، ومن ذلك قول الشاعر :

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب   وتقلينني لكن إياك لا أقلى(٢)

والشاهد فى قوله : (لكن) - بتشديد النون - فالأصل : (لكن أنا) .

وشددت اللام فى لفظ الجلالة للإدغام ، والإدغام فى الكلام على ضربين إما لقرب المخرجين ، أو لتجانس الحرفين .

ولم ينون لفظ الجلالة ، لدخول الألف واللام ، ولأن التنوين ، والإضافة والألف واللام من خصائص الأسماء . فكل واحد منها يعاقب صاحبه(٣) .

{ من } :

(من) حرف جر ، ويستعمل لابتداء الغاية إذا ذكر متعلقها ، كما أن (إلى) لمنتهى الغاية .

فإذا قلت : (لزيد من الحائط إلى الحائط) فقد أفصحت بحرفى الجر (من وإلى) عن طرفى مالزيد ، لأنك ابتدأت بـ (من) وانتهيت بـ (إلى) . ومثل ذلك قولك : (خرجت من العراق إلى مكة) .

يقول ابن خالويه(٤) : حدثنى المحمدان(٥) النحوى واللغوى عن ثعلب

---

(١) سورة الكهف آية ٣٨ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٥ - وتقلينى أى : تبغضنى ، أى أنك تبغضنى ولكنى لا أبغضك .

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٥،٦ - بتصرف .

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، المعروف بابن خالويه ، النحوى ، المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . الأعلام ٢/٢٣١ .

(٥) هما : محمد بن القاسم بن بشار بن الأنبارى ، النحوى ، المتوفى ٣١٨ هـ ومحمد

قال : إذا قال الرجل: (ازيد على من واحد إلى عشرة) فجائز أن يكون ثمانية ، إذا أخرجت الحدين ـ وهما : واحد وعشرة ـ وجائز أن يكون عليه عشرة إذا أدخلت الحدين معا . وجائز أن يكون عليه تسعة ، إذا أخرجت حدا وأدخلت حدا[1] .

ومن ثم فرع الفقهاء مسائل فقهية استطاعوا استنطاق الأحكام فيها من استعمالهم حرفي الجر (الباء ، ومن) أجد أن البحث يطول بذكرها .

﴿ الشيطان ﴾ :

(الشيطان) مجرور بـ (من) وعلامة جره كسرة النون. وشددت الشين لإدغام اللام فيها .

واللام تدغم في أربعة عشر حرفا هي (التاء ، والثاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، واللام ، والنون) .

وإنما أدغمت اللام في أربعة عشر حرفا ، وهي نصف حروف المعجم ؛ لأنها أوسع الحروف مخرجا، وهي تخرج من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان ، وفويق الضاحك والناب ، والرباعية والثنية ، فلما اتسعت في الفم وقربت من الحروف أدغمت فيها ذكر ذلك ابن خالويه عن جماعة من فحول اللغة[2] .

فإن قال قائل : لم فتحت نون (من) في قولك : (من الشيطان) وكسرت نون (عن) في قولك : (عن الشيطان) ؟

= ابن دريد، النوى وابن دريد هذا لم يرو عن ثعلب هكذا ذكر فهامش إعراب ثلاثين سورة : ٦ .

(١) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٦ .

(٢) المصدر السابق : ٦ ، ٧ بتصرف .

فالجواب فى ذلك : أن النون حركت فيهما ، لالتقاء الساكنين ، غير أنهم اختاروا الفتح فى (من) لانكسار الميم ، واختاروا الكسر فى (عن) لانفتاح العين .

وأما قولهم : (إن الله أمكننى من فلان) فقد كسروا النون فى (إن) مع الهمزة المكسورة ، لقلة استعمالهم إياه .

والشطن : مصدر شطنه يشطنه شطنا ، خالفه عن وجهه ونيته .

والشيطان : (فيعال) من شطن إذا بعد ، فيمن جعل النون أصلا ، وقولهم : الشياطين : دليل على ذلك .

والشيطان : (فعلان) من شاط يشيط إذا هلك واحترق ، مثل :(هيمان، وغيمان) من (هام ، وغام) وشاط يشيط بقلب ابن آدم وأشاطه أى: أهلكه.

والدليل على أنه من (شطن) فهو شيطان على وزن (فيعال) قول أمية ابن أبى الصلت :

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى فى السجن والأغلال(١)

والشاهد فى قوله : (أيما شاطن) والمراد : أيما شيطان ، وفى التنزيل العزيز قوله تعالى : « وما تنزلت به الشياطين »(٢) .

وقرأ الحسن : « وما تنزلت به الشياطون » وقد أنكره ثعلب ، وقال : هو غلط منه ، وعده من الشذوذ .

والشيطان : حية له عرف . والشاطن : الخبيث ، ويطلق على كل متمرد من الناس ، وغيرهم ، قال تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطنهم »(٣) . أى : إلى رؤساء المنافقين والكفار من اليهود .

(١) عكاه : أى شده ، يعنى بذلك سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ انظر القرطبى ٩٠/١ وإعراب ثلاثين سورة ص ٧ ،

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٠ . (٣) سورة البقرة آية ١٤ .

وتشيطن الرجل : فعل فعل الشياطين .

وأما قوله تعالى : « طلعها كأنه رءوس الشياطين »[1] فقد وجهه الزجاج على أن الشيء إذا استقبح شبه بالشياطين . وقيل : الحيات . وقيل : الجن .

وقيل رءوس الشياطين : نبت معروف قبيح ؛ يسمى رءوس الشياطين شبه به طلع هذه الشجرة[2] . والله أعلم .

ومن ثم نعلم أن نون « شيطان » إما أن تكون كما ورد في قول أمية بن أبي الصلت ، وإما أن تكون زائدة .

فإن جعلت النون أصلية كان من « الشطن » وهو البعد ، أي : بعد عن الخير أو من الحبل الطويل ، كأنه طال في الشر .

وإن جعلتها زائدة ، كان من « شاط يشيط » إذا هلك ، أو من استشاط غضبا ، إذا احتدم في غضبه والتهب .

والرأي الأول وهو كون النون أصلية هو القول الراجح .

والدليل على رجحان القول بأصالة النون : أنك إن جعلته « فيعالا » من قولهم : « تشيطن الرجل » صرفته ، وقد ورد كذلك في التنزيل ، وفي كثير من كلام العرب .

وإن اعتبرت النون زائدة فهو من « شيط » فلا تصرفه ، لأنه على وزن « فعلان » فاجتمع فيه الألف والنون مع الوصفية فمنع من الصرف .

﴿ الرجيم ﴾ :

(الرجيم) مجرور بالكسرة على أنه نعت للشيطان ، ولم ينون لدخول الألف واللام ، وشددت الراء ، لإدغام اللام فيها .

فإن قيل : الشيطان (رجم) - بفتح الراء والجيم - أو (رجم) - بضم الراء وكسر الجيم .

---

(١) سورة الصافات آية ٦٥ .

(٢) انظر لسان العرب « شطن » .

فالجواب : (رجم) - بضم الراء وكسر الجيم - لأن الأصل من الشيطان المرجوم ، فصرف من مفعول إلى فعيل، لأن الياء أخف من الواو ، كما يقال : كف خضيب ، والأصل مخضوبة ، ولحية دهين، والأصل : مدهونة، ورجل جريح ، وصريع ، والأصل : مجروح ومصروع ،كل ذلك أصله الواو ، لأنه مفعول .

والرجم : القتل ، وقد ورد فى القرآن بهذا المعنى فى غير موضع ، قال تعالى : « لنرجمنكم »(١) .

وإنما قيل للقتل رجم ، لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلا رموه بالحجارة حتى يقتلوه ، ثم قيل : لكل قتل رجم ،ومنه : رجم الثيبين إذا زنيا، وأصله الرمى بالحجارة ، رجمه ، يرجمه ، رجما) فهو مرجوم ورجيم .

والرجم : اللعن ، ومنه (الشيطان الرجيم) أى : المرجوم بالكواكب صرف إلى (فعيل) من (مفعول) .

وقيل : (رجيم) ملعون ، مرجوم باللعنة مبعد ومطرود(٢) .

فائدة :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة ، ولها يستهل الصبى صارخا . إلا ما كان من مريم ابنة عمران فإنها لما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فضرب دونها حجاب فطعن فيه . وإن المسيح لما ولد حفت به الملائكة . فلم يقربه إبليس وصارت الشياطين إليه فقالوا : قد نكست الأصنام رءوسها ، فقال : قد حدث أمر عظيم ، فضرب خافقى الأرض وأتى البحار فلم يجد شيئا ، ثم وجد المسيح - صلى الله عليه وسلم - قد ولد فقال : قد ولد نبى » - صلى الله عليه وسلم -(٣) .

(١) سورة يس الآية ١٨

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٨، ٩ - ولسان العرب « رجم » .

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٨، ٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بسم ﴾ :

الباء حرف جر يفيد الصفة، أو الالصاق، وهو زائد، وقد اختلف النحاة في موضع الباء ومعنى دخولها :

قال الكسائي[1] : لاموضع للباء ؛ لأنها أداة .

وقال الفراء[2] : موضع الباء نصيب، وقد دخلت على معنى الأمر، والتقدير : « قل بسم الله » أو « أبدأ بسم الله » .

وقال الزجاج[3] : دخلت على معنى الخبر، والتقدير : « ابتدأ بسم الله » فيكون في موضع نصيب كذلك .

وقال البصريون : موضع الباء رفع بالابتداء، والتقدير : « ابتدائي بسم الله » فـ « بسم الله » في موضع رفع خبر المبتدإ .

وقالوا أيضا : هي في موضع رفع بخبر الابتداء المحذوف، والتقدير : « ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله » فإذا أظهرته كان « بسم الله» في موضع نصب بثابت أو مستقر، وكان بمنزلة قولك : « زيد في الدار» وفي التنزيل :

---

(١) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي، أبو الحسن الكسائي [المتوفى ١٨٩ هـ] الأعلام ٤ : ٢٨٣ وأنباه الرواة ٢ : ٢٥٦، وطبقات النحويين : ١٣٨ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء، المتوفى ٢٠٧ هـ - الأعلام ٨ : ١٤٥ ومراتب النحويين : ٨٦ .

(٣) هو إبراهيم بن سري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج النحوي المتوفى ٣١١ هـ الأعلام ١ : ٤٠، ومعجم الأدباء ١ : ٤٧ .

« فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى[1] » ف‍ « عنده » فى موضع نصب ب‍ « مستقرا » رويت هذه التوجيهات عن نحاة أهل البصرة[2] .

وقيل : التقدير : « ابتدائى بسم الله موجود أو ثابت » ف‍ « بسم » فى موضع نصب بالمصدر .

ومما أورده البصريون شاهـــدا على موضع الرفع ، الرجز الذى قاله الجليح بن شميذ :

تسالى عن بعلها أى فتى خب[3] جبان فإذا جاع بكى

والشاهد فى قوله « خب جبان » أى : هو خب، فخب مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . وفى قوله : « أى فتى » ف‍ « فتى » مرفوع على أنه مبتدأ لخبر محذوف ، والتقدير : أى فتى هو .

ومن ذلك قوله تعالى : « بشر من ذلكم النار[4] » فالنار مرفوعة على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : هى النار .

ما السبب فى كسر باء الجر :

اختلف النحاة فى علة تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان :

الأول : كسرت الباء ليناسب لفظها عملها .

والثانى : لما كانت الباء لا تدخل إلا على الأسماء خصت بالخفض الذى لا يكون إلا فى الأسماء .

والثالث : كسرت ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف فى قول امرىء القيس :

(١) سورة النمل آية ٤٠ .

(٢) تفسير القرطبى ١ : ٩٩ وإعراب ثلاثين سورة : ٩ بتصرف .

(٣) والخب : الفساد . وخب الرجل خبا : منع ماعنده ، وخب : نزل المنهبط من الأرض لئلا يشعر بموضعه بخلا ولؤما . لسان العرب [خبب] ، انظر إعراب ثلاثين سورة : ٩ .

(٤) سورة الحج آية ٧٢ .

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طورا وترتقى(١)

والشاهد فى قوله : (بكابن) والمراد : بمثل ابن الماء . أو ما كان مثله : (اسم) مجرور بالباء وعلامته جره كسرة الميم ، ولم ينون ، لأنه مضاف ولم ينون المضاف ، لأن الاضافة زائدة ، والتنوين زائد ، وقد نص النحاة على عدم الجمع بين زائدين .

(أصل بسم) :

أصلها (باسم) بالألف ، وقد أسقطت الألف منها لأنها كثرت على ألسنة العرب عند الأكل والشرب والقيام والقعود ، فحذفت الألف من الخط اختصارا ، لأنها ألف وصل ساقطة فى اللفظ .

فإن ذكرت اسما من أسماء الله - عز وجل - وقد أضفت إليه الاسم لم تحذف الألف لقلة الاستعمال كقولك : (باسم الرب ، وباسم القدير) .

وإن أتيت بحرف سوى الباء ، أثبت أيضا الألف ، نحو قولك : (لاسم الله حلاوة فى القلوب) و (ليس اسم كاسم الله) وكذلك : (باسم الرحمن ، وباسم الجليل ، و « اقرأ باسم ربك الذى خلق »(٢) .

اللغات الواردة فى (اسم) ووزنها التصريفى :

وورد فى (اسم) لغات أربع بشرط إسقاط الباء وهى : (اسم)- بكسر همزة الوصل - و (اسم) - بضم همزة الوصل - و (سم) بكسر السين و (سم) بضم السين -

ف (اسم) على وزن (افع) والذاهب منه الواو ، لأنه من (سموت)

(١) المعنى : رحنا بفرس كأنه ابن ماء « طير ماء » خفة وحسنا وطول عنق ، وهو يجنب ، أى : يقاد فلا يركب . انظر القرطبى ١ : ١٠٠ ، ٢١١ .

(٢) سورة العلق آية ١ .

وجمعه (أسماء) وتصغيره (سمى) - بضم السين وفتح الميم وياء مشددة - .

واختلف فى تقدير أصله ، فقيل : (فعل) - بكسر الفاء - وقيل : (فعل) بضمها .

قال الجوهرى : (أسماء) يكون جمعا لهذا الوزن . وهو مثل جذع ، أجذاع) و (قفل) - بضم القاف - (وأقفال) وهذا لاندرك صيغته إلا بالسماع .

وقال أحمد بن يحي : من ضم الألف أخذه من (سموت أسمو) ومن كسر أخذه من (سميت أسمى) .

وباللغتين (سم وسم) - بضم السين وكسرها أنشد الراجز :

والله أسماك سما مباركا آثرك الله به إيثاركا(١)

وقول الآخر :

وعامنا أعجبنا مقدمه
يدعى أبا الشمح وقرضاب(٢) سمه
مبتركا كل عظم يلحمه

والشاهد فى هذا الرجز فى قوله : (سما) - بضم السين - و (سمه) أنشد بضم السين وكسرها .

(فسمه وسمه) بكسر السين وضمها ، ألفه ألف وصل ، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة ، كقول الأحوص :

وما أنا بالمحسوس فى جذم مالك
ولا من تسمى ثم يلتزم الإسما(٣)

---

(١) انظر قول الجوهرى وأحمد بن يحي فى القرطبى ١ : ١٠٠ .

(٢) القرضاب اللاحى . انظر إعراب ثلاثين سورة ١٠ والقرطبى ١ : ١٠٠ .

(٣) انظر القرطبى ١ : ١٠٠ واللسان والمحسوس : المرزول . وجذم كل شيء أصله ، ومالك جد أعلى الشاعر .

قال ابن برى : وأنشد أبو زيد لرجل من كلب (وهو من الرجز) :

أرسل فيها بازلا يقرمه
وهو بها ينحو طريقا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سمه(١)

والشاهد فى الرجز الأول قوله : (الإسما) حيث جاء ألفه قطع للضرورة وفى الرجز الثانى قوله : (باسم) حيث جاء ألفه وصل ، وفيه أيضا (سمه) بكسر السين وضمها .

الاشتقاق :

من قال : (اسم وسم) - بكسر السين فى الثانى - أخذه من (سمى) - بفتح السين وكسر الميم - (يسمى) - بفتح الياء وسكون السين - مثل (على يعلى) .

ومن قال : (اسم وسم) - بضم الهمزة فى الأول والسين فى الثانى - أخذه من (سما يسمو) وكلاهما من العلو والارتفاع .

قال البصريون : (الاسم) مشتق من من (السمو) وهو العلو والرفعة ، فقيل : اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به ، وقيل : لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره . وقيل : إنما سمى الاسم اسما ، لأنه علا بقوته على قسمى الكلام (الفعل والحرف) والاسم أقوى منهما بالإجماع ، لأنه الأصل ، فلعلوه عليهما سمى اسما ، فهذه ثلاث توجيهات لها أصالتها فى تعضيد ماذهب إليه البصريون .

---

(١) ورد هذا الرجز فى إعراب ثلاثين سورة ص ١٠ وهكذا .

أرسل فيها باذ لايقرمه وهوبها ينحو طريقا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سمه

وفى الكشاف للزمخشرى ١ : ٤ وإعراب القرآن للنحاس ١ : ١٦٧ .

وقال الكوفيون : إنه مشتق من (السمة) وهى العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، فأصل اسم على هذا (وسم) .

والقول الصحيح ماذهب إليه البصريون ، لأنك إذا نسبت إلى الاسم تقول : (سموى وسموى) بكسر السين وضمها - وإن شئت قلت : (اسمى) تركته على حاله .

وإذا صغرت الاسم قلت : (سمى) - بضم السين وفتح الميم وياء مشدودة - .

وتقول فى الجمع (أسماء) وجمع (أسماء) (أسام) . ومعلوم لدينا أن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها ، فلا يقال : وسيم ولا أوسام .

فائدة الخلاف تؤكد قول البصريين :

إن ثمرة الخلاف بين المذهبين يجعلنا نقف على أصل من أصول عقيدتنا فإن من قال : الاسم مشتق من العلو ، تقول : لم يزل الله سبحانه موصوفا قبل وجود الخلق ، وبعد وجودهم ، وعند فنائهم ، ولا تأثير لهم فى أسمائه ولا صفاته ، وهذا قول أهل السنة .

ومن قال الاسم مشتق من السمة ، تقول : كان الله فى الأزل بلا اسم ولا وصفة ، وهذا قول المعتزلة .

وهذا القول خلاف ما أجمعت عليه الأمة وهو أعظم فى الخطأ من قولهم: إن كلامه - سبحانه وتعالى - مخلوق ، تعالى الله عن ذلك[1] .

وبذلك يتبين لنا صحة ماذهب إليه البصريون ، كما يتضح لنا فصاحة هذه اللغة فى بناء ألفاظها ، وإحكام اشتقاقها ، وأن الخروج باللفظ إلى غير مبناه

(١) تفسير القرطبى ١ : ١٠١ .

ومعناه والمراد . من وضعه ، قد يخرجنا عن عقيدتنا فقضية الأسماء والصفات من أخطر القضايا الحساسة التي تتصل بالعقيدة .

وهذا أيضا يعطينا مؤشرا ضروريا ، وهو ضرورة اشتغال علماء العقيدة والفقه وأصوله بعلوم اللغة العربية ، حيث إنها المفتاح لعلوم الشريعة ، كما أن المفسر والمحدث في أمس الحاجة إليها عند توجيه المعاني ، وتوجيه الأحكام .

وخلاف العلماء في معرفة الفرق بين (الاسم والمسمى) تفصح لنا عن هذه الحقيقة :

توجيهات العلماء في الفرق بين الاسم والمسمى :

ذهب أهل الحق فيما نقل القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن الاسم هو المسمى ، وارتضاه ابن فورك وهو قول أبي عبيدة - من أئمة اللغة - وسيبويه - الإمام النحوي - ووافقه على ذلك البصريون ، وهذا مذهبهم في منع إضافة الاسم إلى المسمى ، والذي عبروا عنه بقولهم : ويمتنع إضافة الاسم لما اتحد به معنى ، كالمرادف مع مرادفه (كليث أسد) والصفة إلى موصوفها (كفاضل رجل) والموصوف إلى صفته (لرجل فاضل) .

وحجتهم في ذلك أن الغرض من الإضافة التعريف أو التخصيص والشيء لايعرف بنفسه ، ولا يتخصص بها . . . فإن سمع مايوهم ذلك أول .

ويؤكد ماذهبوا إليه توجيه القول فيمن قال : (والله عالم) فالله : دال على الذات الموصوفة بكونه عالما ، فالاسم كونه عالما وهو المسمى بعينه .

وكذلك إذا قال : (الله خالق) فالخالق الرب ، وهو بعينه الاسم ، فالاسم عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل .

قال ابن الحصار : من ينفى الصفات من المبتدعة يزعم أن لامدول للتسميات إلا الذات ، ولذا يقولون: الاسم غير المسمى ، ومن يثبت الصفات يثبت للتسميات مدلولات هى أوصاف الذات وهى غير العبادات ، وهى الأسماء عندهم .

ومن ثم نجد أن الكوفيين جوزوا فى باب الإضافة أن يضاف الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان :

وحجتهم ورود ذلك فى القرآن . من ذلك قوله سبحانه : « إن هذا لهو حق اليقين »[1] فاليقين فى المعنى نعت للحق ، لأن الأصل : اليقين الحق ، والنعت فى المعنى هو المنعوت ، فأضيف المنعوت إلى النعت وهما بمعنى واحد .

وقد أول البصريون ما أورده الكوفيون ليثبتوا أن ماذهب إليه أهل الحق هو الأصل .

ويؤكد ذلك ويعضده ماذهب إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أن (اسم) صلة زائدة ، واستشهد بقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبكى حولا كاملا فقد اعتذر[2]

والشاهد فى قوله : (اسم) حيث ذكره زيادة ، وإنما أراد : ثم السلام عليكما . وفى هذا دليل لأهل الحق على أن الاسم هو المسمى .

(١) سورة الواقعة الآية ٩٥ .

(٢) انظر القرطبى ١ : ٩٨ وفيه قول أبى عبيدة .

تنبيهات :

الأول : لا يقال إن زيادة (اسم) فيه نقص ، بل يجب أن نعلم أن معنى زيادته يتجه إلى الإجلال والتعظيم والرجوع إلى الأصل ،

يقول قطرب : زيدت لإجلال ذكره تعالى وتعظيمه .

وقال الأخفش : (زيدت ليخرج بذكرها من حكم القسم إلى قصد التبرك ، لأن أصل الكلام : بالله) . لأن معنى (بسم الله) أى : (بالله) أى : بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه[1] .

والثانى : قال الماوردى : يقال لمن قال : (بسم الله) (مبسمل) وهى لغة مولدة ، وقد جاءت فى الشعر ، قال عمر بن أبى ربيعة :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فياحبذا ذاك الحبيب المبسمل[2]

قلت المشهور عن أهل اللغة (بسمل) .

قال يعقوب بن السكيت والمطرزو الثعالبى وغيرهم من أهل اللغة : بسمل الرجل إذا قال : (بسم الله) ... ومثله : (حوقل الرجل) إذا قال (لاحول ولا قوة إلا بالله) و (هلل) إذا قال : (لا إله إلا الله) و (سبحل) إذا قال : (سبحان الله) و (حمدل) إذا قال : (الحمد لله) و (حيصل) إذا قال : (حى على الصلاة) و (جعفل) إذا قال : (جعلت فداك ...[3] إلخ) .

الثالث : ذكرت فيما سبق أن الهمزة فى (اسم الله) همزة وصل تسقط فى التصغير عندما تقول : (سمى) .

فإن قال قائل : الأسماء لا تتصرف ، وإنما التصرف الأفعال ، كقولك : (ضرب يضرب ضربا) فلم قالت العرب : (بسمل يبسمل بسملة) ؟

---

(١) المصدر السابق ١ : ٦٧ - ٦٩ - بتصرف .

(٢) انظر البيت فى اللسان «بسمل» وإعراب ثلاثين سورة ١١ والقرطبى ١ : ٩٧ .

(٣) القرطبى ١ : ٩٧ - بتصرف .

فالجواب على ذلك : أن هذه الأسماء مشتقة من الأفعال ، فصارت الباء كبعض حروفه إذ كانت لا تفارقه ، وقد كثرت صحبتها له[1] .

والدليل على ذلك قول عمر بن أبي ربيعة السابق إنشاده آنفا .

﴿ الله ﴾ :

لفظ الجلالة الأعظم جر بإضافة الاسم إليه ، أي أن : اسم مضاف والله مضاف إليه ، وعلامة جره الكسر تحت الهاء .

آراء النحاة في اشتقاقه :

اختلف النحاة في هذا الاسم - هل هو مشتق ، أو موضوع للذات علم ؟ فبالاشتقاق قال كثير من أهل العلم ، لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه .

فقد روى سيبويه عن الخليل أن أصله : « إلاه » على وزن « فعال » - بكسر الفاء - فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة .

قال سيبويه : مثله مثل « الناس » فأصله « أناس »[2] .

وقال ابن خالويه : الأصل « باسم الإله » واستدل بقول عبد الله بن رواحه :

بسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

وحبذا ربا وحب دينا[3]

والشاهد في قوله : « باسم الإله » فقد حذف الهمزة اختصارا من « الإله » وأدغمت اللام في اللام ، فالتشديد من جلل ذلك ، ولم تنون ذلك لدخول الألف واللام . وهذا هو قول الكسائي والفراء هكذا نقل عنهم القرطبي في تفسيره .

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ١١ - بتصرف

(٢) تفسير القرطبي ١ : ١٠٢ - بتصرف .

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ١١ .

يقول ابن خالويه، وسمعت بأ أعلى النحوى يقول : اسم الله تعالى مشتق من « تأله الخلق إليه » أى : فقرهم وحاجتهم إليه[1] .

وهذا وهم من أبى على، ذلك لأن التأله منقول من اسم الله تعالى[2] .

وقال بعضهم : أصل الكلمة «لاه» وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه[3]، وأنشد :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ولا أنت ديانى فتخزونى[4]

وقيل : هو مشتق من « وله » إذا تحير، والوله : ذهاب العقل يقال : « رجل واله، وإمرأة والهه ووالة » .

وتوجيه القول على ذلك أن الله سبحانه تتحير الألباب وتذهب فى حقائق صفاته والفكر فى معرفته .

وعلى هذا الاشتقاق يكون أصل « إلاه » « ولاه » فأبدلت الهمزة من الواو، كما أبدلت فى « إشاح ووشاح، وإساده ووساده » .

وقيل : إنه مشتق من الارتفاع، لأن العرب كانت تقول لكل شىء مرتفع « لاه » فكانوا يقولون إذا ارتفعت الشمس : « لاهت » .

وقيل : هو مشتق من أله الرجل إذا تعبد، وتأله إذا تنسك، وعلى ذلك قرأ بعضهم قوله تعالى : « ويذرك وإلاهتك »(٥) والمعنى كما قال ابن عباس وغيره، وعبادتك .

وزعم بعضهم : أن الأصل فيه « الهاء » التى هى الكناية عن الغائب،

---

(١) المصدر السابق : ١١، ١٢ .

(٢) انظر هامش المصدر السابق : ١١ .

(٣) تفسير القرطبى ١ : ١٠٢ .

(٤) خزونى - بالخاء المعجمة - معناه : تسوسنى - انظر القرطبى ١ : ١٠٢ .

(٥) قراءة حفص : « ويذرك وآلهتك » سورة الأعراف آية ١٢٧ .

وذلك أنهم أثبتوه موجودا فى فطر عقولهم ، فأشاروا إليه بحرف الكناية ، ثم زيدت فيه لام الملك ، إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها ، فصارت « له » ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيما وتفخيما .

القول الثانى : « وهو أنه موضوع للذات علم ، وهذا القول ذهب إليه جماعة من العلماء منهم الشافعى ، وأبو المعالى ، والخطابى ، والغزالى ، والمفضل . . . وغيرهم ، وروى عن الخليل وسيبويه : أن الألف واللام من بنية هذا الاسم لازمة له لا يجوز حذفها منه .

قال الخطابى : والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ، ولم يدخلا للتعريف : دخول حرف النداء عليه ، لقولك : « يا الله » وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف ، ألا ترى أنك لا تقول : « يا الرحمن ، ولا يا الرحيم » كما تقول : « يا الله » فدل على أن الألف واللام من بنية الاسم(١) .

فوائد :

الأولى : أن لفظ الجلالة « الله » هو اسم الله الأعظم ، ولم يتسم به غيره ، ولذلك لم يثن ولم يجمع ، وهو أحد تأويلى قوله تعالى : « هل تعلم له سميا(٢) » أى : من تسمى باسمه الذى هو « الله » .

الثانية : « الله » اسم الواجد الحق الجامع للصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى « لا إله إلا هو سبحانه » فهو وحده الذى يجب أن يعبد وأن يتحقق لذاته وفى ذاته « إياك نعبد وإياك نستعين »(٣) .

---

(١) المصدر السابق ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ - بتصرف

(٢) سورة مريم آية ٦٥

(٣) تفسير القرطبى ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ - بتصرف

الثالثة : روى عن الضحاك أنه قال : إنما سمى « الله » « إلاها » لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم ، ويتضرعون إليه عند شدائدهم .

وذكر عن الخليل بن أحمد أنه قال : لأن الخلق يألهون إليه - بنصب اللام - و « يألهون » أيضا بكسرها ، وهما لغتان ... وهذا قوله : « وإياك نستعين » .

الرابعة : وجه قوم قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »(١) على معنى أن الألوهية إعتباد الخلق ، أي : الذي يستحق أن يعبد معبود واحد ، لأن الذين تعبدون خلق مثلكم من خلق إلهكم الواحد الذي لا مثل له ، ولا شبيه له ، كما تقول : فلان واحد في الناس .

الخامسة : معنى الوحدانية : انفراده عن الأشياء كلها غير داخل في الأشياء ، جلا الله وعلا(٢) .

السادسة : من غريب ما قيل في « الله » أنه صفة ، وليس اسم ذات لأن اسم الذات يعرف به المسمى ، والله تعالى لا يدرك حسا ولا بديهة ولا تعرف ذاته باسمه ، بل إنما يعرف بصفاته ، فجعله اسما للذات لا فائدة في ذلك(٣) .

كل هذه الفوائد وغيرها كثيرة فهمت من توجيهات النحاة وأهل اللغة . الذين كانوا لا يألون جهدا في البحث العميق للتوصل إلى الحقيقة التي من ورائها نجنى الثمار ... وها هي نبذة عن جهودهم حول توجيه القول في لفظ الجلالة - والله تعالى أجل وأعلم - .

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٣

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٦٢ بتصرف

(٣) تفسير البحر المحيط ١ : ١٥ بتصرف

﴿ الرحمن الرحيم ﴾ :

الجر كما نعلم يحصل بشيئين - أحدهما : بالحرف كما فى قوله : (باسم) والثانى : بالإضافة كما فى (الله) من قوله : (باسم الله) .

وأما قوله : (الرحمن الرحيم) فهما مجروران بالكسرة ، وهما مجروران بالتبعية ، أى أن الجر حاصل فيهما ، لكون الوصف تابعا للموصوف فى الإعراب ، وعلى ذلك (فالرحمن الرحيم) صفتان للفظ الجلالة قبلهما .

حكم لام (أل) :

قد أدغمت اللام فى الراء لقرب المخرجين ، وذلك بعد تشديد الراء فى (الرحمن الرحيم) وقلب اللام راء ، ثم إدغام الراء فى الراء .

ولم يجز سيبويه وغيره من البصريين إدغام الراء فى اللام ، فى نحو قوله تعالى : « أستغفر لهم »(١) ولا فى نحو : (اخترليطه) لأن الراء حرف فيه تكرير ، فإذا أدغمه فكأنما أدغم حرفا مشددا نحو قوله تعالى : « مس سقر »(٢) و « وأحل لكم ما وراء ذلكم »(٣) وإدغام المشدد فيما بعده خطأ بالإجماع .

وأما ما رواه اليزيدى عن أبى عمرو فى قراءة قوله تعالى : « استغفر لهم » « واصطبر لعبادته »(٤) وفيهما إدغام الراء فى اللام ، فقد ضعفه ابن مجاهد لرداءته فى العربية ، ولأن الرواية الصحيحة عن أبى عمرو الإظهار ، لأنه من أئمة نحاة البصرة ، فلا يتصور مخالفة إجماعهم وهو إمامهم .

وكان الفراء يجيز إدغام الراء فى اللام كما يجيز إدغام اللام فى الراء(٥) .

---

(١) سورة التوبة آية ٨٠ .
(٢) سورة القمر آية ٣٥ .
(٣) سورة النساء آية ٢٤ .
(٤) سورة مريم آية ٦٥ .
(٥) التفسير الكبير ١/١٠٥ - وتفسير البحر المحيط ١/١٥،١٦ - بتصرف .

الرحمن الرحيم :

يجوز فيهما الرفع والنصب على القطع . أما الرفع : فعلى تقدير : (بسم الله هو الرحمن الرحيم) برفعهما .

وأما النصب : فعلى تقدير : (بسم الله أعنى الرحمن الرحيم) بنصبهما .

حكم إمالة (الرحمن) :

أجمع النحاة على أنه لايمال لفظ (الرحمن) وفى جواز إمالته قولان - أحدهما : يرجح أنه لسيبويه ، وعلة جوازه انكسار النون بعد الألف .
والثانى : عدم الجواز ، وهو الأظهر عند النحويين[1] .

حكم اشتقاق (الرحمن) :

اختلف أهل العلم فى اشتقاق اسمه (الرحمن) أما (الرحيم) فلا خلاف فى اشتقاقه فقال بعضهم : إن اسمه (الرحمن) ليس مشتقا ، واستدلوا على عدم اشتقاقه بأمرين :

الأول : أن اسم الله (الرحمن) من الأسماء المختصة به سبحانه ، فلو كان مشتقا من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم ، فجاز أن يقال: الله رحمان بعباده ، كما يقال : رحيم بعباده .

والثانى : أنه لو كان مشتقا من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه ، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم ، وقد قال الله تعالى : « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا »[2] .

ومما استدل به أيضا على إنكار العرب لاسم (الرحمن) ما كتبه على - رضى الله عنه - فى صلح الحديبية بأمر النبى - صلى الله عليه وسلم - :

(1) التفسير الكبير ١/١٠٥ . (2) سورة الفرقان آية ٦٠ .

«بسم الله الرحمن الرحيم» قال سهيل بن عمرو : أما «بسم الله الرحمن الرحيم» فما ندرى ما (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن أكتب ما نعرف (باسمك اللهم) .

قال ابن العربى : إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ، واستدل على ذلك بقوله : (وما الرحمن) ؟

وأضاف ابن الحصار دليلا آخر مدعما به قول ابن العربى ، وهو قوله تعالى : «وهم يكفرون بالرحمن» .

وقال جمهور من الناس : (الرحمن) مشتق من الرحمة ، مبنى على المبالغة ومعناه ذو الرحمة الذى لا نظير له فيها ، فلذلك لا يثنى ولا يجمع ، كما يثنى (الرحيم) ويجمع ، ومن بين من قالوا بالاشتقاق ابن قتيبة قال صفتان مبنيتان من الرحمة (١) .

واستدلوا على الاشتقاق بما نقله ابن الحصار مما أخرجه الترمذى ، وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: قال الله ـ عز وجل ـ : «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» فهذا نص صريح فى الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق .

وأما إنكار العرب له فلجهلهم بالله وبما وجب له(٢) .

والجوهرى ممن يقولون بالاشتقاق حيث يقول : (الرحمن والرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة ، ونظيرهما فى اللغة (نديم وندمان) وهما بمعنى(٣)

والرأى ما ذهب إليه الجمهور لوضوح الدليل ـ والله أعلم ـ .

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبى ١/١٠٣ ، ١٠٤ ـ بتصرف .

(٣) انظر الصحاح واللسان [رحم] .

معناهما ووزنهما التصريفي :

قال الزجاج : (الرحمن) اسم من أسماء الله - عز وجل - مذكور في الكتب الأول ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله .

ومعناه عند أهل اللغة : ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ، فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء . ومن ثم لا يجوز أن يقال : « رحمن » إلا (لله) عز وجل .

وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان ، أحدهما أرق من الآخر فالرحمن: الرقيق . والرحيم : العاطف على خلقه بالرزق .

و (رحمن) وزنه (فعلان) وهو من أبنية ما يبالغ في وصفه[1] .

قال أبو حيان : وأصل بنائه من اللازم للمبالغة ، وشذ من المتعدى و(أل) فيه للغلبة ، كما في (الصعق) فهو وصف لم يستعمل في غير الله .

قال : فإذا قلت : (الله رحمن) ففي صرفه قولان ليسند أحدهما إلى أصل عام ، وهو أن أصل الاسم الصرف ، والآخر إسم خاص ، وهو أن أصل فعلان المنع لغلبته فيه[2] .

فإذا أسندته إلى أصله العام فهو مصروف باعتبار الأصل .

وإذا أسندته إلى اسم خاص وهو كونه على وزن (فعلان) فيمنع من الصرف لغلبة المنع في هذا الوزن .

ومن أغرب ما قيل فيه قول ثعلب أنه أعجمي بالخاء فعرب بالحاء ؛ وبهذا القول قال : أبو إسحق الزجاج في كتابه (معاني القرآن) وطم على ذلك

(١) انظر الصحاح واللسان [رحم] .
(٢) انظر تفسير البحر المحيط ١/١٥ .

شواهد من الشعر[1] . ومع هذا فلا يعتد بهذا القول .

أما (الرحيم) فوزنه (فعيل) محول من فاعل المبالغة ، وهو واحد من أمثلة المبالغة . ويأتى (رحيم) بمعنى (مرحوم) ، فى الرحمن من المبالغة ماليس فى الرحيم ، ولذا قالوا : (رحمن الدنيا والآخرة) ، ورحيم الدنيا ، ويقولون : إن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى[2] .

ويمكن معرفة معناه من مقابلته بمعنى (رحمن) وإليك توجيهات النحاة واللغويين فى ذلك :

قال أبو عبيدة : هما بمعنى واحد كنديم وندمان . وإلى هذا القول ذهب الجوهرى .

وقال الجمهور : ليس بناء (فعلان) كبناء (فعيل) لأن (فعلان) لايقع إلا على مبالغة الفعل ، كقولك : (رجل غضبان) الممتلىء غضبا ، و(فعيل) قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول ، أى : رحيم بمعنى مرحوم .

ومن ذلك قول عملس بن عقيل :

فأما إذا عضت بك الحرب عضة　　　فإنك معطوف عليك رحيم[3]

والشاهد فى قوله : (رحيم) فقد جاء فى البيت بمعنى (مرحوم) أى : فإنك معطوف عليك مرحوم .

وعلى ذلك فـ (الرحمن) خاص الاسم ، عام الفعل . و(الرحيم) عام الاسم خاص الفعل .

وقال أبو على الفارسى : (الرحمن) اسم عام فى جميع أنواع الرحمة ، يختص به الله وحده . و (الرحيم) يتوجه إلى المؤمنين لقوله تعالى : « وكان

---

(١) تفسير القرطبى ١/١٠٤ ـ وإعراب ثلاثين سورة ص ١٣ .

(٢) انظر الكشاف ١/٦ .

(٣) البيت فى لسان العرب [رحم] والقرطبى ١/١٠٥ ـ والبحر المحيط ص ١ .

بالمؤمنين رحيما »(١) .

وقال العرزمى(٢) : الرحمن جمع خلقه فى الأمطار ونعم الحواس ، والنعم العامة و « الرحيم » بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم - إلى غير ذلك من أقوال العلماء المنثورة فى كتب التفسير والإعراب .

ومن ثم فإن أكثر أهل العلم على أن « الرحمن » مختص بالله -عز وجل- لا يجوز أن يسمى به غيره ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى(٣) » فعادل اسمه « الرحمن » باسمه الذى لا يشاركه فيه غيره وهو « الله » .

ودليل آخر يفصح عنه قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون »(٤) .

فأخبر - سبحانه - أن « الرحمن » هو المستحق للعبادة .

وأما « الرحيم » فصفة مطلقة للمخلوقين ، فيمكن أن نقول : خالد قائد رحيم ، وقد نعت الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بقوله: « بالمؤمنين رءوف رحيم »(٥) .

نكتة التقديم والتأخير :

قدم اسم « الله - جلت قدرته - على « الرحمن الرحيم » لأنه اسم لا ينبغى إطلاقه إلا على الله وحده - جل ثناؤه - وقد أفصح عن ذلك بقوله : « هل

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٣ .

(٢) هو عبد الملك بن أبى سليمان ، كما فى الخلاصة .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١١٠

(٤) سورة الزخرف آية ٤٥

(٥) سورة التوبة آية ١٢٨ .

تعلم له سميا »(١) أى : هل تعرف فى السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب أحداً اسمه الله غير الله - عز وجل - .

وقدم « الرحمن » على « الرحيم » لأن الرحمن اسم خاص لله ، والرحيم اسم مشترك فقدم الخاص على العام، وما ذكر آنفا من توجيهات العلماء خير دليل على ذلك .

والله تعالى أعلم بكتابه

(١) سورة مريم آية ٦٥ .

الخاتمة

وبعد هذا العرض الذى أوجزت القول فيه ليقدم للقارىء على مائدة الدراسات النحوية واللغوية وليرى إلى أى حد ومدى كان للنحاة أثرهم فى تعميق الفكر وتسليط الضوء على كتاب الله تعالى ليظهروا لنا قبسات من أسرار هذا الكتاب ، حيث تتجلى حكمتهم فى الوقوف عند كل لفظة من الاستعاذة والبسملة فيكشفوا عن حقيقة اللفظ وأصل اشتقاقه ويعرضونه على قواعد الإعراب ثم يوجهون المعنى ويستنبطون الأحكام ، سواء كانت أحكاما نحوية أو لغوية ، أو عقدية ، وقد خلصت منها إلى مايلى :

أولا : لقد التزم النحاة الدقة عند استعمالهم حروف الجـــر التى تؤدى مدلولات دقيقة فى إثبات الحقوق لأصحابها ،فمثلا « من » حرف جر لابتداء الغاية مع ذكر متعلقه ، كما أن « إلى » حرف جر لمنتهى الغاية ، فإذا أردت ضبط الحقوق بالحدود قلت : « لزيد من الحائط إلى الحائط » أى : ابتداء من الحائط التى بعد « من » إلى نهاية الحائط الذى بعد «إلى» فقدأفصحت بحرفى الجر « من وإلى » عن طرفى مالزيد من الحق .. ومن ذلك قولك : « خرجت من العراق إلى مكة » .. إلى غير ذلك مما ذكر فى البحث .

ثانيا : تتميز اللغة العربية بالدقة عند تحريك آخر بعض الحروف إذا وقع بعدها ساكن ، كحرف الجر « من ، وعن » فمثلا نجد أن النحاة حركوا النون فيهما عند التقاء الساكنين مع كلمة أخرى ، غير أنهم اختاروا الفتح فى « من » لإنكسار الميم قبلها فتقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » واختاروا كسر النون فى « عن » لانفتاح العين قبلها ، فتقول : « أخـــذ

سيبويه اللغة والنحو عن الخليل ، وذلك محافظة منهم على الخفة وضبط الاستعمال .

ثالثا : حسن تعليل النحاة لكسر باء الجر ... حيث قالوا : كسرت ليناسب لفظها ، أو لاختصاصها بالدخول على الأسماء التى لا يقع الجر إلا فيها ، أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما مثل الكاف التى تكون بمعنى « مثل » فهذه تعليلات لطيفة تؤكد دقة النحاة فى ضبط هذه الحروف واستعمالاتها .

رابعا : تغيير الحركة على الحرف الأول من الكلمة قد يغير الأصل الذى أخذ منه ، فمثلا قولنا : « اسم » إذا ضم الألف كان أصله من « سما يسمو » وإذا كسر الألف كان أصله من « سمى يسمى » وهذه أيضا من لطائف علم التصريف .

كما أن تصريف الكلمة بالنسب والتصغير والجمع يدل على أصلها لأن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها ، فتقول فى النسب إلى « اسم » « سموى » - بضم السين أو كسرها - أو تقول : « اسمى » وفى التصغير « سمى » بضم السين وفتح الميم وتشديد الياء - والجمع « أسماء » .

خامسا : زيادة بعض الحروف فى الكلمة الواحدة ، أو أصالتها ، يؤثر فى مدلول المعنى والإعراب ، من ذلك النون فى « شيطان » .

فإذا كانت النون أصلية كان من « الشطن » وهو البعد عن الخير ، أو من الحبل الطويل كأنه طال فى الشر ، وعلى هذا المعنى يصرف ، أى : ينون ، لأنه على وزن « فيعال » تقول : « تشيطن الرجل فهو شيطان » .

وإن جعلت النون زائدة كان من « شاط يشيط » إذا هلك أو استشاط غضبا إذا احتدم فى غضبه والتهب ، وعلى ذلك تمنعه من الصرف ، لأنه على وزن « فعلان » الذى يمنع من الصرف .

وما عليه جمهور أهل اللغة والنحو هو أصالة النون ، لأن اللفظ ورد

مصروفا فى القرآن الكريم، إلا أن ذلك من باب التوسع فى اللغة .

سادسا : من لطائف الاستعمالات اللغوية ، الموجهة بالقاعدة النحوية أن العرب استعملوا الفاعل موضع المفعول من ذلك قولهم : « اللهم عائذا بك من كل سوء » أى : أعوذ بك عائذا ، وفى الحديث : « عائذ بالله من النار » أى : أنا عائذ ومتعوذ ، كما يقال : مستجير بالله .

وأما من روى الحديث « عائذا » بالنصب فقد جعل الفاعل موضع المصدر ، وهو « العياذ » .

وفى هذا الاستعمال من التلوين والتشكيل الجميل مالا يخفى على أهل اللغة فضلا عن التوسع فى استعمالاتها عند التصريفات المختلفة ، ويمكن مراجعة ذلك عند توجيه القول فى « أعوذ » وفى كتب اللغة .

سابعا : توجيهات النحاة حول اشتقاق كلمة « اسم » وتصريفها ، وضع أيدينا على أصل من أصول عقيدتنا ، وهو موضع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة .

فمن قالوا : إن « اسم » مشتق من العلو ، وجهوا قولهم على أن الله سبحانه لم يزل موصوفا قبل وجود الخلق وبعد وجودهم ، وعند فنائهم ، ولا تأثير لهم فى أسمائه ولا صفاته ، وهذا هو مذهب أهل السنة .

وأما من قالوا : إن « اسم » مشتق من السمة ، وجهوا قولهم على أن الله سبحانه كان فى الأزل بلا اسم ولا صفة ، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات ، فإذا أفناهم ، بقى بلا اسم ولا صفة ، وهذا هو مذهب المعتزلة .

ومن ثم تبين لنا أثر علم التصريف فى إثبات أصل من أصول عقيدتنا التى ندين بها ، وهى مذهب أهل السنة والجماعة .

كما يجب أن نعلم أن هذه المسألة أعطتنا توجيها هاما ، وهو ضرورة اشتغال علماء العقيدة ، والفقه وأصوله ، والتفسير والحديث ، بعلوم اللغة وبخاصة علم النحو والصرف . وهذا ما كان عليه علماؤنا القدامى .

ثامنا : قدرة أهل اللغة على اختصار العبارة فى كلمة واحدة تؤدى مدلولها ومعناها ، كقولهم : (بسمل الرجل) أى : قال : (بسم الله) و (حوقل) إذا قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله) و (هلل) إذا قال : (لا إله إلا الله) .. إلخ .

تاسعا : حسن توجيهات النحاة حول لفظ الجلالة (الله) حيث قال بعضهم : إنه مشتق ، وقال آخرون : إنه موضوع للذات علم ، والمتأمل لتوجيهاتهم وتعليلاتهم يجد أنها تدور حول تنزيه الذات الإلهية .

ومن غريب ما قال بعضهم : إنه صفة وليس اسم ذات ، لأن اسم الذات يعرف به المسمى ، والله تعالى لا يدرك حسا ولا بديهة ، ولا تعرف ذاته بأسمه ، بل إنما يعرف بصفاته فجعله اسما للذات لا فائدة فى ذلك .

عاشرا : الأصل فى الاسم الصرف ، فإذا أسندت (رحمن) إلى أصل عام صرف كقولك : (الله رحمن) .

أما إذا أسندته إلى اسم خاص ، وهو كونه على وزن (فعلان) منعته من الصرف ، لغلبة المنع فى هذا الوزن .

حادى عشر : الفرق بين (فعيل وفعلان) فى أداء المبالغة أن (فعلان) ليس كبناء (فعيل) لأن (فعلان) لا يقع إلا على مبالغة الفعل ، كقولك : رجل غضبان ، للمتلىء غضبا .

وأما (فعيل) فقد يكون بمعنى الفاعل والمفعول ، أى : رحيم بمعنى مرحوم .

ومن ثم فإن (الرحمن) اسم خاص لله وحده لا يشاركه فيه أحد . وأما (رحيم) فهو اسم مشترك يطلق على الله وغيره من المخلوقات .

* * *

وبعد .. فهذه قبسات ألتقطتها لأهتدى بها إلى معرفة جانب من أسرار الاستعاذة والبسملة .. ولا أدعى بذلك أنى إستقصيت جميع ما يتصل بالجانبين النحوى واللغوى، فذلك محيط واسع عريض وعميق وحسبى منه رشفة ماء أو نسمة هواء.

والله وحده هو الهادى إلى طريقه المستقيم
وصلى الله وسلم وبارك على خاتم
النبيين وعلى آله وصحبه آمين

موارد البحث

١ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لابن خالويه - نشر ناصر خسرو - طهران - إيران .

٢ - إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - تحقيق د / زهير غازي زاهد - ط عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - الطبعة الثانية ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .

٣ - الأعلام - للزركلي - دار العلم - بيروت - لبنان .

٤ - البيان في غريب إعراب القرآن - لابن الأنباري - تحقيق د / طه عبد الحميد طه - مراجعة الأستاذ مصطفى السقا - ط انتشارات الهجرة - إيران ١٤٠٣ هـ .

٥ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين - السيوطي - القاهرة ١٩٤٦ هـ .

٦ - تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة - تحقيق ا / السيد أحمد صقر - نشر مكتبة توحيد وسنة بشاور - باكستان .

٧ - تفسير البحر المحيط - لأبي حيان الأندلسي - ط دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٨ - التفسير الكبير - الإمام الفخر الرازي - الطبعة الثالثة .

٩ - الجامع لأحكام القرآن الكريم - تفسير الإمام القرطبي - ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م .

١٠ - خزانة الأدب - البغدادي - تحقيق ا / عبد السلام محمد هارون - ط دار الكاتب العربي ١٣٨٧ هـ .

١١ - روح المعانى - للعلامة الآلوسى - ط دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٢ - زاد المسير فى علم التفسير - لابن الجوزى - ط المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - توزيع دولة قطر .

١٣ - شرح المفصل - لابن يعيش - ط عالم الكتب - بيروت - توزيع مكتبة المتنبى - بالقاهرة .

١٤ - الصحاح (تاج اللغـــة وصحاح العربية) - للجوهرى - تحقيق ا / عبد الغفور العطار - القاهرة ١٣٧٧ - ١٩٥٦ م .

١٥ - الفريد فى إعراب القرآن المجيد - للمنتجب الهمذانى - تحقيق د / فهمى حسن النمر . د / فؤاد على مخيمر - رسالة لنيل درجة الدكتوراه - بكلية اللغة العربية بالأزهر .

١٦ - الكتاب - لسيبويه - تحقيق ا / عبد السلام هارون - ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٧ م .

١٧ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - للإمام الزمخشرى .

١٨ - لسان العرب - لابن منظور - نشر الحوزة - قم - إيران .

١٩ - معانى القرآن - للفراء - تحقيق ا / محمد على النجار - ط الدار المصرية للتأليف والترجمة - انتشارات ناصر خسرو - طهران .

٢٠ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد - ط محمد على صبيح .